# نَقْدُ نَظَرِيَّةِ أَخْلاقِ الحَدَاثَةِ فِي العَقْلِ التَّأسِيسِيِّ مِنْ مَنْظورِ القُرْآنِ الكَرِيمِ

هابيل جواني
جامعة القرآن والحديث
طهران- ايران الاسلامية

أ.م.د.علي رضا قائمي نيا
معهد الثقافة والفكر الاسلامي
طهران-ايران الاسلامية

## فحوى البحث

في الحداثة يعد العقل مِلاكا في تقييم الأمور الأخلاقية وأساسُ الحداثة هو العقل التأسيسي. ويرى بعضهم في العصر الحديث أنّ المعرفة العقلانية جديرة في الأمور الأخلاقية وكافية في ذلك ويرى هؤلاء أنّ الإنسان مستغن عن الوحي في معرفة الأمور الأخلاقية فلا يرون موقعا للوحي الإلهي في الأخلاق. يتناول البحث بداية وجهة نظر الحداثة بشأن العقل التأسيسي ثم يبدأ بنقد ودراسة العقل التأسيسي من منظور القرآن الكريم. فيتناول أولاً قيمة واعتبار المعرفة العقلانية في القضايا الأخلاقية من منظور القرآن الكريم ثم بيان عجز العقل التأسيسي عن المعرفة في جميع القضايا الأخلاقية في ظل الآيات القرآنية.

العبارات الأساسية: الأخلاق، الأسس المعرفية للأخلاق، أخلاق الحداثة، العقلانية المتطرفة،العقل التأسيسي.

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة:

العقل في الغة هو الحبس و المنع؛ و المقصود من عقل الإنسان نور روحاني تدرك النفس به العلوم الضرورية و النظرية (الطريحي، ١٣٧٥، ج ٥، ص٤٢٥) و العقل في الفلسفة إحدى قوى النفسانية و التى تقع مقابل الحس و الخيال و الوهم. إنّ العقل قادر على إدراك الكليات و المجردات و العقل له عملان: عمل شهودي، و عمل استدلالي (صادقي، ١٣٨٦، ص٤٢). إنّ تصنيف المعرفة العقلية للإنسان إلى قسمين: بديهي و نظري، يرتبط بهذين القسمين من العمل العقلي.

يعتبر العقلانيون معيار معرفة الحقائق و ملاك تمييز القضايا الصادقة عن الكاذبة البداهة العقلية، و بحسب ذلك فإنّ كل قضية غير بديهيّة تستنتج من البديهيّات؛ فإنهم يعتبرونها حقيقة و صادقة. إنّ خصوصية المنهج العقلي هي أن يُستفاد في مقدمات الإستدلال من البديهيات الأولية و الوجدانيات (حسين زاده، ١٣٩٦، ص١٢٣ و ١٣٣). و في النتيجة تكون القضايا الأخلاقية على أساس نظرية العقلانيين إما أمور بديهية أو مستنتجة من أمور بديهية، و تستند صحّتها أو صدقها على العقل. و المقصود من العقل التأسيسي هو العقل المبتني على البديهيات. و كذلك فإنّ العقل التأسيسي يجد نفسه مستغنيا عن غير العقل في المعرفة.

يمكن تقسيم الفلسفة الجديدة في الغرب على قسمين: اوربية و انجليزية؛ فالفلسفة الاوربية تتصف بالعقلانية و أصالة العقل، و الفلسفة الانجليزية تتصف بالاتجاه التجريبى. و قد عد التجريبيون مدركات الحس و التجربة فقط معتبرة (فروغي، ١٣٧٥، ص ٣٧٤) و اعتبروا التجربة الحسية معيارا و ملاكا للحقيقة، و يرون ذلك المقدار من القضايا الأخلاقية صادقا إذا أمكن إثباته بالحواس الظاهرية.

و العقلانية هى في مقابل التجريبية، و في المعنى العام فإنّ العقلانية هي نظرية ترى المعرفة بالعالم الخارجي أمرا ممكنا مع

مسيرة التفكر المحض و الذي يكون طريقه مستقلا عن طريق التجربة (هالينك ديل، ١٣٨٧، ص١٧٠ و ١٧١). إنّ أصالة العقل (Rationalism) مذهب جميع من يعتقد أنّ عقل الإنسان هو المصدر الأصلى لمعرفة الحقائق، و أنّ الحقيقة هي الشيء الذي يدرك بالعقل مع أنّ هؤلاء الأشخاص يختلفون في كيفية وجود المعقول (فروغي، ١٣٧٥، ص ٣٩٤ و ٥٤٠). إنّ المعتقدين بأصالة العقل – علاوة على تقابلهم مع التجريبيين –فإنهم يختلفون مع الأخلاق الدينية أيضا، و في هذه المقالة نقصد تلك المجموعة من العقلانيين التي تعتبر نفسها مستغنية عن أيّ نوع من المعرفة الدينية. و بالطبع فإنّ المقصود من الدين عند الفلاسفة الغربيين ليس هو الإسلام و مذهب أهل البيت عليهم السلام ؛ ففي مدرسة أهل البيت عليهم السلام لا منافاة أبدا بين العقل و الدين، و إنما يكمّل أحدهما الآخر.

ففي أخلاق الحداثة أولا: نحصل على المعرفة الأخلاقية من العقل، و في الأخلاق العقلية فإنّ الأصول الأخلاقية هي صناعة العقل. ثانيا: إنّ العقل لايكشف هذه الأصول من مكان معين، بل هو يضعها بنفسه و لا قيمة للمعرفة الحاصلة من غير العقل التأسيسي و المستقل.

تبحث هذه المقالة في مكانة العقل التأسيسي من منظور القرآن الكريم و كذلك دائرة شمول المعرفة العقلانية في القضايا الأخلاقية.

## مكانة العقل التأسيسي بين نظريات الأخلاق المعرفية:

إنّ النظريات المتعلقة بالمبنى المعرفي للأخلاق يمكن تقسيمها على قسمين: معرفي و غير معرفي.

و القسم الأول منها –أي: المعرفي – هو ما تكون فيه القضايا الأخلاقية مبيّنة لنوع من المعرفة (بالمر، ١٣٨٩، ص ٣٢٢) و القضايا الأخلاقية تخبر عن الواقع الخارجي.

و في المقابل فإنّ القسم الثاني –أي: غير المعرفي –يرى أنّ المكارم الأخلاقية ليست إظهارات أو قضايا تنسب أوصافا للأفعال أو الأشخاص (فرانكنا، ١٣٩٢، ص٢٢٠ و وارنوك، ١٣٦٨، ص٣٠) و

بعبارة أخرى فأنّه يطلق اسم النظريات غير التوصيفية أو غير المعرفية على تلك النظريات التى لا تعتبر أنّ طبيعة القيم لها عينية و وجود خارجي (هير، ١٣٩٣، ص١٤).

و على أساس رأي هذا القسم فإن القضايا الأخلاقية ذاتا تكون بشكل خارج عن حدود المعرفة العقلانية، إذن فالمعرفة الأخلاقية ليست ممكنة و لاتخضع لضوابط و قواعد منطقية (ضاهر، ١٩٩٠، ص ١٧). و في النتيجة فإنّ القضايا الأخلاقية لاتكون صادقة أو كاذبة و لايمكن البحث في صحتها أو عدم صحتها (مصباح اليزدي، ١٣٨٧، ص ٢ و ٣٣) فأصحاب الاتجاه الانفعالى و أصحاب اتجاه التوصية من جملة أقسام غير المعرفي.

فالذين يكونون في القضايا الأخلاقية معرفيون يكونون في معرفة الأمور الأخلاقية ضمن مجموعات أصحاب الاتجاه الشهودي، و أصحاب النزعة الطبيعية، و أصحاب الاتجاه العقلي.

فالشهوديون يعتقدون أنّ بعض المفاهيم الأخلاقية أو جميعها بديهية و غير قابلة للتعريف و تفهم و تدرك على أساس الشهود العقلي (جنسلر، ١٣٨٥، ص١٠٣ و شيرواني، ١٣٧٩، ص ٣٤) و لا حاجة لتوجيهها و تبيينها بالاستدلال.

و الطبيعيون يؤولون المفاهيم الأخلاقية إلى مفاهيم طبيعية فتكون قابلة للبحث بالحس و التجربة (فرانكنا، ١٣٩٢، ص ٢٠٦ و شيرواني، ١٣٧٩، ص٤٦). و يرى هؤلاء أنّ الأخلاق قسم من النظام الطبيعي و الأصلى الخالد الذي يحكم جميع العالم و لا يصنعه البشر و ليس هو من الاعتباريات (هولمز، ١٣٨٥، ص١٩٧ و ١٩٨).

و الطائفة الثالثة من المعرفيين هم العقليون و إنّ أصحاب الحداثة يعتقدون بالعقل التأسيسي.

والجدول التالي يبين تقسيم النظريات الاخلاقية في المبنى المعرفي للقضايا الاخلاقية على: معرفي و غير معرفي، ليختصر بذلك هذه المعادلة:

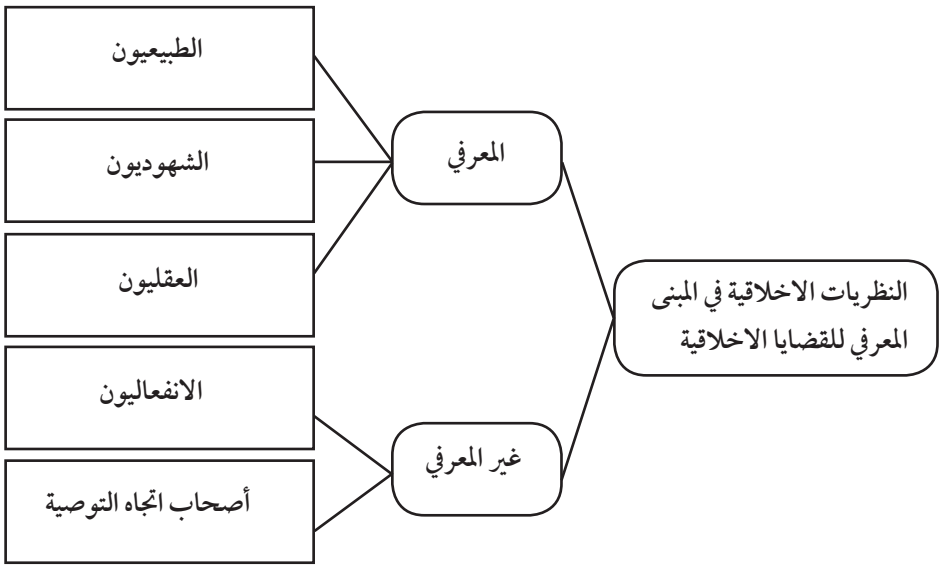


## تبيين العقل التأسيسي في القضايا الأخلاقية:

و على مدى التاريخ فإنّ هناك عددا كبيرا من علماء الأخلاق يعتقدون بأصالة العقل في مجال الأخلاق المعرفية.

يرى سقـــراط (٤٦٩ –٣٩٩ ق. م) أنّ أساس الأخـلاق هو القبح و الحسن العقليان. فهو يرى أنّ الأخلاق الحسنة هي الأعـمال التي يراها العقل حسنة، و الأخلاق السيئة هي الأعمال التى يعتبرها العقل قبيحة (محمدي، ١٣٩٤، ص ٣٥٦ و مطهري، ١٣٧٢، ج ٢١، ص٢٢٧). فهو لا يقبل الـقـرارات الأخلاقية التي تتعين بوساطة المشاعر و العواطف؛ بل يجب البحث في الأمور الأخلاقية و اتّباع أفضل الاستدلالات.

ويعتقد افلاطون (٤٣٠ –٣٤٧ ق.م) أنّ العلم بوجود الأشياء علـم عقلي و أنّ القضايا الأخلاقية لها توجيه عقلاني (الخزاعي، ١٣٨٥، ص٣٠) فهـو يرى أن الأعمال القبيحة نتيجة للجهـل، و لهذا فهو يؤكد على دور المعرفـة في كسب الفضائل.

و يرى ارسطو أيضا أنّ هدف الحياة الأخلاقية هو الحصول على السعادة عن طريق التطبيق الدقيق للأنشطـة العقلية

(سلحشـــــوري، ١٣٩٠، ص١٢٤ و ارسطو، ١٣٨١، ص ٨٢ و ٨٣).

إنّ ثقافـة الحداثة تبتني على العقل التأسيسي المستقل عن كل ماوراء العقل و عمل هذا العقل هو التفكير بالمصلحة و المحاسبة؛ فهى صرفـا بصـدد صبّ نتائجها التجريبية في قالب الاستدلالات المنطقية. هذا العقل لا يفكر إلا بربح و خسارة الانسان في هذه الحياة الدنيا و لا يرتبط بأيّ مصدر ماورائي. و الوجه الآخر للاتجاه العقلي الحديث هو مقاومة و رفض التعبد، فلا يقول بحجية أي مرجع (ساجدي و مشكي، ١٣٨٧، ص١٨٧). فالعقل التأسيسي لا يقبل سوى مرجعيّة العقل في القضـــايا الأخلاقية و لا يقول بحجية المصادر الأخرى غير العقل.

و قد وصل الاتجاه العقلي إلى ذروته في عصر الحـداثـة. و هنا نشير إلـى أهم النظريات المطروحـة في الحداثة بشأن معرفة العقل التأسيسي في الأخلاق.

تبدأ الفلسفـــة الجديدة بديكارت (١٥٩٦ –١٦٥٠) الفيلسوف الفرنسي في القرن السابع عشر. و يرى ديكارت– مثل افلاطون –أنّ أساس المعرفة فطري (صـــانعي دره بيدي، ١٣٨٧، ص٢٣١ و ٢٩٣) و أنّ مـلاك صحة المعرفة هو وضوحها و بساطتهـــا و تنتهي جميـع المعارف الصحيحة إلى قضايا بسيطة و يستخدم ديكارت أسلوبـه في استنتاج العلم في مجال الأخـلاق أيضا و يحاول أن يحصل على علم الأخلاق عن طريق الاستدلال و المنهج العقلي.

اعتمد ديكارت الشك منهجا في مجال النظر مقدمة لليقين إلّا أنّه عدَّ استخدام الشك في السلوك غير جائز (فروغي، ١٣٧٥، ص٦٢٤ و ديكارت، ١٣٧٦، ص٢٢٨). يقول ديـكـارت في تعريف الانسان: «هو موجود كلّ ماهيّته التفكير» (ديكارت، ١٣٧٦، ص٤٥ –٤٨) و هو يقول بقوّتين في الذهن لأجـل المعرفة، إحـداهمـا: إدراك واضـح لمعنى لا يقبل الشك عن طريق العقل؛ و الأخـرى: استنتاج نحصل عليه من طريق القياس. و يعتبر ديكارت الأخـلاق من العلوم الناتجة من الفلسفة (عابدي شاهرودي، ١٣٩٥، ص١٨١ و ١٨٧) و يعتبـــر

ديكارت أنّ سبب صحة عمل الانسان هي الحكمة، و يعتبر أساس الحكمة هو العقل (ديكارت، ١٣٧٦، ص٢٠٧)؛ و في النتيجة فإنّ المفاهيم الأخلاقية عنده تحصل من عقل الانسان و التى هي إمّا أمور بديهية أو تنتهي إلى الأمور البديهية.

إنّ النظام الفلسفي لباروخ اسبينوزا (١٦٣٢ -١٦٧٧) من أبرز الأنظمة العقلية و قد أوصل نظرية الاتجاه العقلي إلى حدها الأقصى (هالينك ديل، ١٣٨٧، ص١٧٨). و هو يقسم المعارف إلى علمي و غير علمي؛ و العلمي إلى التجربي و العقلي و الحدسي. و هو يرى أنّ المعرفة الحسيّة لا يمكنها أن تعطي الحياة الأخلاقية، بل المعرفة العقلية و ادراك هذا المطلب و هو أنّ الطبيعة خاضعة للقوانين العامة و نحن أيضا جزء من هذه الطبيعة هي التى تؤدى إلى الحياة الأخلاقية. إنّ الانسان له عقل و شهود، و يكمن نفع الانسان في أنّه يحيا على أساس قوانين العقل (معلمي، ١٣٩٤، ص٥٥). و يرى اسبينوزا أنّ تركيب المعرفة التام مع العواطف يصنع قرارات صحيحة و اما التركيب الناقص للمعرفة مع العواطف فإنه يصنع قرارات غير صحيحة؛ و عليه فإنّ العنصر الأصلي للأخلاق عند اسبينوزا هي المعرفة الصحيحة و حينها تكون المعرفة معرفة كاملة و صحيحة ناتجة من البرهان العقلي و هو يعتبر معرفة الأشياء الجزئية عن طريق الحس و الخيال معرفة ناقصة و التى هي منشأ الخطأ المعرفي. و يرى اسبينوزا ان الخير هو ذلك الشيء الذى يكون مفيدا للإنسان بشكل يقيني، و إنّ الشر هو الشيء الذي يمنع الخير عن الإنسان بشكل يقيني، و إنّ الشيء المفيد هو الشيء الذى يساعد الإنسان في الوصول إلى الموقع المثالي للعقل (عابدي شاهرودي، ١٣٩٥، ص٢٣٠ و ٢٣٨ و ٢٥٣). و بناء على هذا فيرى اسبينوزا أنّ المعرفة الأخلاقية إنما يمكن الاعتماد عليها عندما تنشأ من عقل الإنسان و تكون يقينية و لا يعتبر المعارف الأخلاقية الأخرى موردا للاعتماد.

إنّ ذروة أفكار الاتجاه العقلي بشأن العالم الخارجي هي فلسفة لايب نيتس

(١٦٤٤ -١٧١٦) و الذي لا يعتقد بوجود المادة بل يعتبر أنها وليدة ذهن الإنسان (هالينك ديل، ١٣٨٧، ص١٧٩ و ١٨٠). فهو يعتقد أنه يجب اولا ادراك القواعد العامة العقلية ثم يتم تنظيم السلوك على أساسها؛ و ذلك لأنّه بهذا العمل يحقق كمال عقله و ماهيته و ينال السعادة الحقّة و التي هي عبارة عن الادراك العقلي (معلمي، ١٣٩٤، ص٥٨). و يعتقد جورج بيركلى (١٧٥٣-١٦٨٥) أنّه يمكن البرهنة على الأخلاق كالرياضيات؛ و بالطبع فإنّ ذلك ليس بمعنى أنّ الأخلاق فرع من الرياضيات الخالصة. و يرى بيركلى أنّ القانون الأخلاقي يقتضي منّا أن نبحث عن مصلحته الحقيقية بحسب العقل (معلمي، ١٣٩٤، ص٦٨) و كما نرى فإنّ اولئك البعض من منظّري الأخلاق في عصر الحداثة الذين يعتقدون بأصالة العقل في القضايا الأخلاقية و يعتبرون لزوم رجوع أصل المعرفة الأخلاقية إلى الاستدلالات العقلية للمعرفة العقلانية.

يُعدُّ ايمانويل كانط (١٧٢٤-١٨٠٤) من أبرز رجال فلسفة الأخلاق في العصر الراهن في الغرب. و كان يعتقد أنّ الإلزامات الأخلاقية لا تؤخذ من الأوامر الإلهية، كما أنّ المراجع الإنسانيّة و الثقافة الجارية في المجتمعات أيضا لا يمكنها أن تكون ملقية للأخلاق، و قد سعى أيضا لعزل الأخلاق عن الترجيحات و الرغبات الشخصية و أن يبنيها صرفا على أساس العقل المحض (شهرياري، ١٣٨٥، ص ٢٢٥ و ٢٢٦). و قد بنى فلسفة الأخلاق على المنهج الذاتي و خلافا للرواية اليهودية-المسيحية التى تعتبر الله تعالى منشأ للحجية العقلانية و الأخلاقية، فإنّ كانط طرح أنّ منشأ المنهج الذاتي هي الإرادة العقلانية الفاعلة (خدا برست، ١٣٩٤، ص ٩٣). كان كانط يريد أن يدوّن أصلا في الأخلاق يكون دستورا عمليا عقلانيا للأفعال الإنسانية و أن يكون في الوقت ذاته مستقلا عن الرغبات و العواطف الفاعلة الأخلاقية و كذلك عن علاقاته الاجتماعية و أن يقبله الجميع و يستحسنون العمل به

(شهرياري، ١٣٨٥، ص ٢٢٥ و ٢٢٦) ثم وصل إلى هذه النتيجة و هي أنّ الحسن المطلق و مبدأ الحسن هو حسن النية و إرادة الخير، و إرادة الخير هي اتباع التكليف أو العزم على أداء التكليف، و هذا الأمر ليس مرتبطا بالحس و التجربة، بل هو أمر عقلي و قبلي، و إنّ الهدف من الأوامر العقلية العملية في أداء التكليف هو العقل ذاته يعني ما تقوم به إنسانية الإنسان، و احترام العقل هو احترام الإنسانية (فروغي، ١٣٧٥، ص٣٤٩ و ٣٥١ –٣٥٣). و في النتيجة فإنّ الإنسان في الأمور الأخلاقية يتبع عقله فقط، و يرى كانط أن عقل الإنسان فقط هو الطريق المعتمد في المعرفة الأخلاقية و يمكنه إلزام الإنسان بمراعاته.

و يُعدّ فيخته أيضا من تلامذة كانط و ممن أدام مدرسته العقلية، و هو يعتبر حقيقة «أنا» هو السلوك و العمل يعني التكليف للوصول إلى الكمال (فروغي، ١٣٧٥، ص ٣٧٩ و ٣٨١).

و مذهب آرتور شوبنهاور (١٧٨٨– ١٨٦٠) هو أصالة التصور و يعتبر أنّ المعتقدين بأصالة المادة خاطئين، و لتعليمات فيخته أثر أساسي في عقائده إلا أنّه يعتبر نفسه الوارث الحقيقي لكانط رغم وجود اختلاف بينهما في بعض وجهات النظر، و يعتبر شوبنهاور الفلسفة ضرورية للحصول على مبنى الأخلاق (فروغي، ١٣٧٥، ص٤٢٢ –٤٢٥) و يرى الحل الواقعي في أن يفهم الشخص أنّ جميع الشقاء هو من التكثر العارض على عالم الوحدة. و يعتبر كل فرد حقيقة بذاته و انّها توجد من هذه، الأنانية و طلب الحياة؛ و أنانية الأفراد تخلق معارضة بينها فيظهر الفساد. على الإنسان أن يفهم أنّ الحقيقة واحدة (فروغي، ١٣٧٥، ص٤٣٥)؛ و في هذه الحالة فالانفصال يزول و يظهر الشعور بالمواساة و الشفقة. و يرى شوبنهاور أنّ أساس الأخلاق الشفقة؛ و الشفقة هي العدالة و أنّ الأنانية ظلم.

و نتيجة دراسة آراء المنظّرين في العصر الراهن هو أنّه مع وجود اختلاف بين العلماء العقليين في الأمور الأخلاقية، فإنّهم جميعا يؤكدون على

المعرفة العقلانية في المباحث الأخلاقية، و يعتبرون أنّ القضايا الأخلاقية إنما يمكن تحليلها و دراستها بشكل صحيح بالمعرفة العقلية فقط؛ و بالنتيجة فإنّهم يردّون آراء الطبيعيين و غير المعرفيّين و يعتقدون بالعقل التأسيسي. و خصوصية هذه الطائفة هي أنهم أفرطوا في الاتجاه العقلي و توقّعوا من القدرة العقلية للإنسان أكثر من قابليتها. و كذلك فإنّهم لم يهتموا بسائر المصادر المعرفية؛ و هذه الطائفة لم تهتم بوحي السماء و لم تهتم بالوحي الذى ثبتت حجيته بالعقل لأجل المعرفة الأخلاقية.

و الجدير ذكره أنّ كثيراً من العلماء الإسلاميين يعدّون من ذوي الاتجاه العقلي في المعرفة الأخلاقية و قد كتبت العلماء مطالب كثيرة تحت عنوان الحسن و القبح العقليين و جميعهم ناظرون إلى الأخلاق العقلانية، إلا أنّ هذه الطائفة من علماء الإسلام لا يرون أنفسهم مستغنين عن الدين في المعرفة المتعلقة بأخلاقهم أبدا؛ بل نهاية دعواهم أنّ عقلنا يمكنه بشكل مستقل أن يحصل على المعرفة ببعض الأمور الأخلاقية و في هذه المعرفة لا حاجة إلى الدين و هذه المعرفة حجة على الإنسان، و لكنهم لا يعتقدون أبدا بالعقل التأسيسي في جميع المعارف الأخلاقيّة بحيث أنّه لا يحتاج أبدا إلى الوحي الإلهي؛ و في النتيجة فإنّ هذه الطائفة من علماء الإسلام لا يمكن قياسهم مع العقليين المتطرفين المعاصرين.

## دراسة الاتجاه العقلي في الأخلاق من منظور القرآن الكريم:

ينبغي لنا بشأن أهمية التعقل في الأمور الأخلاقية و العلاقة بين التفكر و الوحي الإلهي أن نقول: إنّ عددا من الآيات الكريمة توبّخ الناس لعدم استفادتهم من عقولهم و ترك التفكر في الأمور الأخلاقية و غيرها. و بعض الآيات ترى أن الإنسان الذي لا يستعمل عقله كالدواب: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[سورة الأنفال: ٢٢] و في بعض الآيات دعوة للتدبر و التعقل، و بعض هذه الآيات تدعو إلى التعقل و التفكر في القضايا الأخلاقية (النور: ٦١). كما أنّ بعض الآيات تذم الأشخاص

الذين لا يتعقلون و لا يتفكرون في الأمور الأخلاقية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[سورة الحجرات: ٤].

إنّ القرآن الكريم يخالف بشدّة التقليد الأعمى (سورة البقره: ١٧٠ وسورة الأنبياء: ٥٢ -٥٤) و لا يرى أيّ تضادّ و تناف بين التدين و العبودية لله تعالى و العقل؛ بل إنها تمدح العبودية الناشئة من التعقل. كما أنّ هناك انسجاماً و توافقاً كاملاً بين الأخلاق الدينية و العقل في المباحث الأخلاقية أيضا في القرآن الكريم. يقول تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[سورة الزمر: ١٧ -١٨]. فهذه الآية الشريفة تعرّف الأشخاص العقلاء بأنهم الذين هداهم الله تعالى. و في آية أخرى أنّ الأشخاص غير المؤمنين هم الذين لا يستعملون عقولهم: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة يونس: ١٠٠].

و عليه فإنّ هناك بين العقل و الهداية الإلهية توافقاً كاملاً من منظور القرآن الكريم. و ذلك لأنه من جانب فإنّ مخاطب الوحي هو عقل الإنسان، فالله تعالى يعتبر مخاطبه في الأمور الأخلاقية و سائر أمور الوحي هو عقل الإنسان؛ و لهذا يقول تعالى بشأن الناس الذين لا يتفكرون: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة يونس: ٤٢]؛ و من ناحية أخرى فإنّ العقل هو بنفسه أحد مصادر المعرفة بالقضايا الأخلاقية.

## تأييد المعرفة العقلانية في القضايا الأخلاقية:

بحسب المنظور القرآني فإنّ معرفة المفاهيم الأخلاقية لا تنحصر بمصدر واحد؛ بل هناك مصادر متعددة يمكن أن يكون بعضها مكمّلا أو مؤيدا للآخر. و من مصادر المعرفة بالقضايا الأخلاقية في القرآن الكريم العقل. و كل معرفة أخلاقية يصل إلى معرفتها العقل مستقلا أو بالاعتماد على مقدمات بديهية و يقينية فإنها معتبرة في منظور القرآن الكريم. و

تبيّن الآيات ١٩ -٢٢ من سورة الرعد أمورا أخلاقية متعددة من أوصاف العقلاء، منها: الوفاء بالعهد و عدم نقض العهد و الصبر في سبيل الله.

و بعض الآيات تدعوا الإنسان إلى التعقل في الأمور الأخلاقية و أداء أعمال الخير؛ كما أنّ هناك آيات توبّخ الإنسان لارتكابه بعض الأعمال السيّئة في الأمور الأخلاقية و تدعوه إلى التعقل و التفكير. و يستفاد من هذه الآيات أنه بالتعقل و التفكير يمكن معرفة بعض الأمور الأخلاقية. و بالنتيجة فإنّ المعرفة العقلانية من منظور القرآن معرفة قيّمة و معتبرة. و نشير فيما يلي إلى بعض الآيات:

١. في الآية ٤٤ من سورة البقرة توبيخ لمن يدعو الآخرين إلى الأعمال الحسنة إلا أنه لا يعمل بها:

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

هذه الآية الشريفة توبخ علماء اليهود (الطبرسي، ١٣٧٢، ج ١، ص ٢١٥) لأنهم يأمرون الناس بالخير و لا يعملون به ثم تدعو الآية أخيرا إلى التفكير و التعقل، و هذا يدل على أنّ الإنسان إذا استعمل عقله فإنّه يستطيع أن يعرف قبح العمل و خطئه. و قد استند في هذه الآية لذمّ القول دون العمل إلى أمرين:

أ. كان بنو إسرائيل أهل كتاب و كانوا يقرأون التوراة و يتبعونها، و لازم قراءتهم و اتباعهم للتوراة هو أن يعمل الإنسان نفسه بما يقول.

ب. لازم التعقل و التفكر هو أن يعمل الإنسان نفسه بما يقول، و عليه فإنّ القول من دون عمل هو نتيجة عدم التعقل. فعقل الإنسان يحكم أنّ الإنسان نفسه يسارع في العمل بوصاياه الحسنة، و إن كان شيئا سيئا فلا يجريه على لسانه (رضائى، ١٣٨٧، ج ١، ص٢٥٢). و يستفاد من هذه الآية بوضوح أنّ المعرفة العقلية في الأمور الأخلاقية تكون معتبرة، و لهذا فإنّ من لا يعمل بهذه المعرفة يذمّ و يعاقب.

٢. روي أنّ جماعة من اليهود و بعض النصارى كانوا عندما يسمعون صوت المؤذن أو يشاهدون قيام

المسلمين للصلاة يأخذون بالاستهزاء بهم، و يحذر القرآن الكريم المسلمين من صداقة أمثال هؤلاء:

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة المائدة: ٥٨].

و يوضّح القرآن الكريم في هذه الآية أنّ سبب الاستهزاء بالأذان و الصلاة عدم الاستفادة من العقل. فالصلاة تقرب الإنسان إلى الله تعالى و تؤدي إلى سعادة الدنيا و الآخرة، و هؤلاء الأفراد لا يدركون فوائد الصلاة (الطباطبائي، ١٣٩٠، ج ٦، ص ٢٨).

و تشير هذه الآية و الآيات السابقة إلى المباحث الأخلاقية، و يمكن أن يستفاد منها أنّ العقل له قيمة عظيمة في المفاهيم الأخلاقية من منظور القرآن الكريم، و يمكنه أن يكون معيارا و مصدرا لمعرفة الأمور الأخلاقية و لهذا فإنّ الأشخاص الذين لا يستفيدون من هذه الجوهرة الثمينة، يستحقون الذم و التوبيخ.

و يمكن لنا أن نعثر على آيات أخرى غير ما ذكرنا هنا تدعو إلى التعقل و التفكير بشأن المباحث الأخلاقية (سورة الحجرات: ٤، سورة الحشر: ١٤، سورة الأعراف: ٢٨، سورة الرعد: ١٩، سورة الأنعام: ٣٢) و قد أعرضنا عن ذكرها في المقام رعاية للاختصار.

و ينبغي الالتفات إلى أنّه في دراسة جميع الآيات لا يوجد ذمّ بشأن العقل نفسه و المعرفة العقلانية.

و من جميع ما مرّ يمكن أن نستنتج أنّ عقل الإنسان نفسه من المصادر المعرفية في الأخلاق و يمكنه إدراك الحسن و القبح لبعض الأمور، و لكن يلزم دراسة قدرة العقل للوصول إلى المعرفة في جميع الأمور الأخلاقية و الاستقلال في هذا الأمر. فهل العقل قادر بشكل مستقل عن الوحي و لوحده أن يحصل على جميع المعارف اللازمة في المفاهيم الأخلاقية؟. و سيأتي البحث في الجواب عن هذا السؤال من منظور القرآن الكريم.

## قصور العقل التأسيسي عن المعرفة في جميع القضايا الأخلاقية:

لا شك في أنّ لعقل الإنسان تأثيرا في معرفة الأمور الأخلاقية و لكن هذا لا

يعني أنّه قادر على كشف الحسن و القبح في جميع الأعمال الأخلاقية. فعقل الإنسان نفسه يعترف بمحدوديته. و العقل لوحده و بشكل مستقل عن الوحي لا قابلية له على الوصول إلى المعرفة الصحيحة في جميع القضايا الأخلاقية و لهذا اعتبر الله تعالى في كتابه الكريم إتمام الحجة الإلهية على العباد منوطة بإرسال الرسل، فيقول تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [سورة النساء: ١٦٥]. فلو كان العقل كافيا لوحده على إتمام الحجة فإنّ إرسال الرسل لم يكن لازما بل كان يكتفى بالعقل لوحده.

و تتحدث آيات كثيرة عن أولئك الذين كانوا يعارضون الأنبياء بأعذار شتّى و يرون أنفسهم مستغنين عن الوحي و الأنبياء (يس: ١٤ و ١٥). إنّ إصرار الله تعالى على إرسال الأنبياء يحكي حاجة الإنسان إلى الوحي الإلهي و يبيّن أنّ الإنسان بعقله و مستقلا عن الوحي لا قابلية له على معرفة جميع المعارف التى يحتاج إليها.

ففي كتاب «سؤال الأخلاق» يقول المؤلف بشأن عدم قدرة العقل التأسيسي ليكون معيارا في الأخلاق: ما أشد غفلة الإنسان الحديث حتى كأنه، على ظاهر تقدمه العلمي و التقني الهائل، إنسان جهول!. ألا ترى كيف أنه يقدّم قليل النفع على كثيره، إن لم يقدّم صريح الضرر على صحيح النفع كما يفعل الجهلة من الخلق؟. و هل في الضرر أسوأ من أن يدعو إلى حقوق و حظوظ تخرجه من رتبة الإنسانية و تنزل به إلى درك البهيمية، محتجا في ذلك بأنه يتّبع طريق العقلانية الواضح الذي هو وحده عنوان الإنسانية؟. لكن لو كان ما يدعيه هذا الإنسان صحيحا، فيا ترى كيف بالطريق العقلاني الذي يتّبعه يفضي به إلى نقيض مقصوده؟. أ لم يكن يريد أن يزداد به استقامة، فإذا هو يزداد اعوجاجا؟. بلى (طه عبد الرحمن، ٢٠٠٦، ص١٣).

إنّ العقل التأسيسي الذي يحسب نفسه مستقلا عن الوحي و عن الله تعالى، من جانب لا قابلية له على تشخيص جميع القضايا الأخلاقية، و من ناحية أخرى

فإنّ هناك موانع للاتجاه العقلي تمنعه من ازدهار و تفتح استعداد التعقل. و ندرس فيما يلي أسباب عدم كفاية العقل التأسيسي في معرفة جميع الأمور الأخلاقية. و في البداية نشير إلى موانع الاتجاه العقلي من منظور القرآن الكريم، ثم سنبحث في عجز العقل التأسيسي عن الوصول إلى المعرفة في جميع القضايا الأخلاقية.

## موانع الاتجاه العقلي من منظور القرآن:

مع أنّ المعرفة العقلية قيّمة و هي حجة، و الإنسان قادر في موارد عديدة على كسب المعرفة في الأخلاق إلّا أنّه في موارد أخرى توجد موانع في مسير الاتجاه العقلي عند الإنسان، و هذه الموانع لا تسمح للإنسان في الكثير من الموارد أن يتعقل، و هذا يؤدي إلى عجز الإنسان عن الحصول على المعرفة الصحيحة في بعض الأمور الأخلاقية. و في النتيجة فإنّ الاعتماد على العقل في جميع الأمور الأخلاقية و حرمانه من الوحي الإلهي و المصادر المعصومة من الخطأ، هو الخطأ الكبير للعصر الراهن في الأخلاق. فينبغي الاعتماد على ذلك المقدار من المعرفة العقلية في الأخلاق الذي يكون قطعيا و يقينيا و حاصلا بعد البحث في جميع القرائن و المقدمات اللازمة.

و أشارت بعض الآيات القرآنية إلى موانع تعقل الإنسان، كما أشار بعضها إلى عدم استفادة الإنسان من عقله. ففي شأن عدم تعقل الإنسان يقول الله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [سورة الفرقان: ٤٤]. و طبقا لهذه الآية فإنّ الإنسان عند عدم التعقل يكون بمرتبة الدواب بل أقل درجة منها، و لكن السؤال هو: ما هي أسباب هذا التنزل و الانحطاط، و ما هي موانع التعقل عند الأنسان؟.

إنّ ذنوب الإنسان تمنع ازدهار القدرة العقلانية للإنسان؛ فقد أشارت الآيات إلى هذا الموضوع: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [سورة الأنعام: ٢٥]. و المقصود من «الحجاب» على القلب و الأذن هي التعصبات العمياء الجاهلية و اتباع

الأهواء حيث تكون بمثابة غطاء و ستر على عقل الإنسان حتى لا يسمع الحقيقة و لا يدرك بشكل صحيح القضايا و الآيات القرآنية. و في الحقيقة هذه إحدى آثار و عواقب الإصرار على الذنب التي يقع فيها العاصون المعاندون (رضائي، ١٣٨٧، ج ٦، ص ٦٠). و يمكن أن يبتلى كل إنسان -عدا المعصومين عليهم السلام- قليلا أو كثيرا بمثل هذه العصبيات و الأهواء؛ و عند وجود هذه الموانع كيف يمكن للإنسان أن يعرف المسير الصحيح في جميع الأمور الأخلاقية و يعمل بها؟.

**و من موانع الاتجاه العقلي التبعية للآباء و الأجداد:**

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[سورة البقرة: ١٧٠].

يمكن للإنسان أن يتصرف أمام ثقافته السابقة على ثلاثة أنحاء:

أ. أن يترك جميع ثقافته السابقة و يرفضها، و هذا يؤدى إلى الانقطاع الثقافي للأمة و ليس هو أمرا صحيحا.

ب. أن يقبل جميع الثقافة السابقة و يقوم بتقليدها. و هذا نوع من الرجعية و هو مانع من تطور الأمة (و يذم القرآن هذا الأسلوب).

ج. أن يقبل العناصر الإيجابية و البنّاءة و المبرهنة و يترك العناصر الخرافية و المضادة للعقل و الدين و العلم والتي لا دليل عليها. و هذا هو الصحيح كما هو الظاهر (رضائي، ١٣٨٧، ج ٢، ص٧٧ و مكارم شيرازي، ١٣٧١، ج١، ص٥٧٦) و القرآن الكريم ينهى عن التبعية للسابقين حينما تكون مانعا من تعقل الإنسان و تفكيره. و في النتيجة يكون التقليد الأعمى للسابقين مانعا من التفكير، فعلينا أن لا نقبل جميع سنن الماضين من دون تفسير و دراسة، بل علينا أن نقبل منها ما كان منسجما مع العقل و الدين و نرفض ما لا دليل عليه.

و هناك آيات ذكرت أنّ الغفلة و الإعراض عن الحقيقة من موانع التعقل و أنّ أهل جهنم هم الذين لم يصلوا بعقولهم إلى الفهم الكافي و العميق، فيقول

تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[سورة الأعراف: ١٧٩]. و عليه فإنّ الغفلة من موانع التعقل، فإذا كانت هذه الغفلة عند الشخص عمدية أو كانت مقدماتها مما هيّئه الإنسان نفسه –كما لو لم يستخدم ادوات المعرفة –فإنّ هذا الشخص يكون جهنّميا. و بحسب الآية ٥٧ من سورة الكهف فإنّ من يعرض عن آيات الله و ينسى ماضيه فإنّ الله يجعل على قلبه غشاوة فلا يستطيع إدراك الحقائق، و بالتالي لا يكون قابلا للهداية (رضايي، ١٣٨٧، ج ١٢، ص ٢٥٢).

و طبقا لهذه الآيات فإنّ الغفلة و الإعراض عن الحقيقة من موانع التفكير، و من يستطيع الإدعاء أنّه لا يبتلى بالغفلة و أنّه متوجّه إلى جميع الأشياء اللازمة للوصول إلى المعرفة الصحيحة في الأخلاق و أنّه ليس غافلا عن شيء من ذلك أبدا؟!. و مع وجود كل هذه الموانع كيف يمكن الوصول إلى المعرفة في جميع القضايا الأخلاقية في ظل العقل التأسيسي؟!.

و في بحث موانع الاتجاه العقلي فإنّه يمكن أيضا الاستفادة من الآيات الآتية: (سورة الحج: ٤٦، سورة الانعام: ٣٢، سورة المنافقون: ٣).

إنّ ما ذكرناه يكون له مصداق أيضا في الطرف الإيجابي للأخلاق، و بمستوى ارتفاع الأخلاق في الإنسان فإنّ العقلانية ترتفع أيضا. فكلما ازداد التمسك بالأصول و القواعد الأخلاقية فإنّ ازدهار العقلانية يزداد تبعا لذلك (صادقي، ١٣٨٦، ص٢٦١).

و طبقا لما ذكرنا بشأن موانع الاتجاه العقلي، نستنتج بأنّ الإنسان مع أنّ له جوهرة خالصة باسم العقل يمكنه به معرفة الكثير من الأمور الأخلاقية إلا أنّ هناك موانع كثيرة أيضا في طريق العقل للوصول إلى المعرفة، و في بعض الأمور لا يمكن للعقل أن يعبر جميع هذه الموانع حتى يحصل على المعرفة الصحيحة؛ و لهذا فإنّ الإنسان يحتاج في اختيار الطريق الصحيح إلى الوحي من الخالق تعالى، و لا يمكنه أبدا بعقله التأسيسي أن يحصل على المعرفة الصحيحة في جميع الأحكام الأخلاقية.

## عجز العقل التأسيسي عن المعرفة في بعض القضايا الأخلاقية

إذا فرضنا عدم وجود مانع في طريق التعقل و التفكير فهل يستطيع عقل الإنسان في هذه الحالة أن يكون له معرفة صحيحة في جميع الأحكام الأخلاقية؟. لقد ذكرنا آنفاً أنّ إمكان معرفة العقل في عدد من الأمور الأخلاقية أمر حتمي، و لكن الحديث هنا هو في المعرفة بجميع القضايا الأخلاقية.

إنّ من خصائص الإنسان أنّه لا يعرف أشياء كثيرة، و هذا أمر واضح يفهمه الإنسان نفسه، و قد أشارت بعض الآيات إلى هذا الأمر؛ يقول تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[سورة البقرة: ٢١٦].

فتذكر هذه الآية بصراحة أنّ الله يعلم و أنتم لا تعلمون. و كذلك في آية أخرى عند بيان أوصاف الإنسان يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[سورة الأحزاب: ٧٢].

من الواضح أنّ الإنسان يحتاج إلى العلم لأجل التفكير و التعقل: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٣]؛ فما دام الإنسان لم يحصل على علم بشيء فإنّ إمكان تعقله لذلك الشيء يكون معدوما؛ و حيث إنّ دائرة علم الإنسان محدودة، فعليه تكون قدرة تعقله قليلة أيضا. و هذا الموضوع يصدق في المباحث الأخلاقية أيضا. فنحن في جميع المفاهيم الأخلاقية ليس لدينا علم كاف لتشخيص الحسن و القبيح (البقرة: ٢٣٢). و يقول الله تعالى بشأن البحث من دون علم: ﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[سورة آل عمران: ٦٦].

و بالالتفات إلى هذه الآيات الشريفة يتبيّن لنا أنّ علم الإنسان محدود؛ و في النتيجة يكون التعقل أيضا محدودا؛ صحيح أنّ عقلنا يمكنه أن يحصل على حكم بعض الأمور الأخلاقية إلّا أنّه عاجز عن ذلك في أمور أخرى، و ذلك

لأنّه لا يملك وعيا كافيا للتفكير بشأنها.

كما ينبغي لنا أن نضيف أنّ هناك اختلافات كثيرة بين علماء الأخلاق في أصل معيار الحسن و القبيح؛ فعلماء فلسفة الأخلاق بينهم اختلاف نظر شديد في المباحث الأخلاقية مع أن كل ذي موقف أخلاقي يدعي لنفسه الوصول إلى ما وصل إليه باتباع ضوابط العقلانية وحدها، بيد أنه لا يقدح في العقلانية شيء قَدْحَ هذا الادعاء فيها؛ ذلك أنه لو سلّمنا بصحة هذه الادعاءات الكثيرة، على وجودها في الزمان الواحد و في المكان الواحد، لزم أن تكون العقلانية خاصية لا اتساق فيها، أي متناقضة، و التناقض، على رأي أصحاب هذه الادعاءات، هو عين العقلانية، فتكون العقلانية المزعومة عبارة عن لا عقلانية (طه عبد الرحمن، ٢٠٠٦، ص ١٦). و عليه كيف يمكن للإنسان أن يدرك بشكل صحيح جميع القضايا الأخلاقية و يشخّص بعقله الطريق الصحيح؛ فأحيانا يكون تشخيصه عينَ الجهالة و خلافا للطريق الأخلاقي الصحيح: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[سورة النمل: ٥٥]. و في بعض الآيات وصف علم الإنسان –و الذي هو من المصادر المعرفية للعقل –بالقلة، فإذا فرضنا أنّ المصدر المعرفي للعقل هو التفكير الذهني أو العلوم الحسية فقط ففي هذه الحالة تكون قدرة العقل قليلة جدا.

و علينا أن نضيف إلى هذا الجهل و عجز العقل عن المعرفة الصحيحة في المفاهيم الأخلاقية أنّ الأهم من السعادة الدنيوية للإنسان هي السعادة الأخروية، و إنّ عقل الإنسان في معرفة الصحيح و غير الصحيح بالنسبة إلى السعادة الأخروية عاجز بشكل كبير و هو يحتاج بشدة إلى الوحي الذي يؤيده العقل. إنّ قدرة العقل محدودة في مجاله و حقائق العالم أوسع من مجال العقل. فالعقل قوة من قوى الوجود الإنساني الذي يكون محدودا بالأمور المادية و المعنوية الدنيوية المحدودة، و لا قدرة له على التشخيص الصحيح لوظائفه بالنسبة إلى الآخرة.

إنّ هذا العجز في العقل يرتبط بالعقل التأسيسي في القضايا الأخلاقية، و لكن

إذا استفاد العقل من مصدر الوحي أيضا، فإنّه لا يمكن وصفه بالعجز حينذاك. إنّ الوحي في منظور القرآن يؤيده العقل، و لهذا فهذا الوحي نصير و معين للعقل، و يعدّ مصدرا للعقل. و لهذا ورد في القرآن كلام في توبيخ و ذم عدم التعقل، و ليس هناك موضع وصف فيه العقل ذاته بالقصور و العجز: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [سورة الملك: ١٠]. و بناء على هذا فما في الأخلاق المعاصرة من الفصل بين العقل و الوحي و استقلال العقل في جميع الأمور الأخلاقية لا يمكن قبوله.

## النتيجة:

إنّ الحداثة تعتقد بشأن الأسس المعرفية للأخلاق بالعقل التأسيسي و الذي يكون مستقلا، كما أنهم يعتقدون أنّ عقل الإنسان لوحده يمكنه أن يكشف جميع المعارف الأخلاقية التي يحتاج إليها، و أنّ المعرفة العقلانية هي الوحيدة التي يمكن اعتمادها. و يرى أصحاب الاتجاه العقلي المتطرف أنّ القضايا الأخلاقية عند الإنسان مستغنية عن الوحي في معرفة الحسن و القبيح.

إنّ القرآن الكريم يؤيد أنّ عقل الإنسان مصدر مستقل للمعرفة في بعض القضايا الأخلاقية، فهو يذم الإنسان و يوبّخه بسبب عدم تعقله و تفكيره في الأمور الأخلاقية في آيات كثيرة، و يرى أن القيام بالأعمال الأخلاقية من أوصاف الناس العقلاء، إلّا أنّ القرآن لا يعد العقل التأسيسي في الأخلاق كافيا و إنّه لا يمكن للعقل مستقلا أن يحصل على المعارف اللازمة في ميدان الأخلاق؛ و ذلك لأنّه من جانب توجد موانع في مسير التعقل و التفكير للمعرفة في القضايا الأخلاقية، فمع أنّ الإنسان يتحلّى بجوهرة العقل إلّا أنّ الذنب و الغفلة و الإعراض عن حقائق العالم تمنع الإنسان من الاستفادة من هذه النعمة الكبيرة لأجل الوصول إلى المعرفة في المفاهيم الأخلاقية. و من ناحية أخرى فإنّ عقل الإنسان إذا كان مستقلا عن الوحي فإنّه لا قدرة له على المعرفة في جميع القضايا الأخلاقية، و ذلك لأنّ دائرة علم الإنسان محدودة جدّا، و في الكثير من الأمور الأخلاقية فإنّ الإنسان

ليس له علم كاف بجميع زواياها و لا يمكنه تشخيص الحسن و القبيح بشكل يقيني. فإذا كان علم الإنسان في القضايا الأخلاقية محدودا فإنّ عقله أيضا لا يمكنه التشخيص الصحيح في الأمور الأخلاقية و ذلك لأنّ العلم هو المصدر المعرفي للعقل؛ و بناء عليه فإنّه لأجل الوصول إلى المعرفة في المفاهيم الأخلاقية من منظور القرآن فإنّ هناك موانع في طريق تعقل الإنسان، كما أنّ الإنسان جاهل بالنسبة إلى بعض المفاهيم الأخلاقية؛ و لهذا فإنّ قدرة المعرفة العقلانية بشكل مستقل ستقلّ حينئذٍ، و لا يمكنه في جميع القضايا الأخلاقية الوصول إلى المعرفة الصحيحة التي يمكن الاعتماد عليها، بل يمكنه فقط في عدد من القضايا الأخلاقية أن يحصل على المعرفة الصحيحة، و في النتيجة فإنّ العقل يحكم لأجل الوصول إلى المعرفة الصحيحة بوجوب الاستفادة-إلى جانب العقل -بالمعرفة الوحيانية التي تعدّ أوثق معرفة و أكثرها اطمئنانا، تلك المعرفة التي تنشأ من علم خالق الإنسان و مبدعه.

المصادر:


القرآن كريم.

١. ارسطو (١٣٨١)، اخلاق نيقوماخوس، ترجمة: ابوالقاسم بورحسيني، الطبعة الثانية، طهران، جامعة طهران.

٢. بالمر مايكل (١٣٨٩)، مسائل اخلاقى (المسائل الأخلاقية)، ترجمة عليرضا آلبويه، دار «سمت»، قم، الطبعة الثانية.

٣. حسينزاده محمد (١٣٩٦)، معرفت شناسى (نظرية المعرفة)، مؤسسة الامام الخمينى قدس سره، قم، الطبعة الثالثة و العشرون.

٤. خدابرست، امير حسين (١٣٩٤)، باور دينى و خودآيينى عقلانى (العقيدة الدينية و الرأي الذاتي العقلاني)، مجلة پژوهشنامه فلسفة دين، ١٣٩٤، العدد ٢٦.

٥. خزاعي زهرا (١٣٨٥)، عقلانيت اخلاق (عقلانية الأخلاق)، مجلة انديشه دينى، ١٣٨٥، العدد ٢١.

٦. ديكارت، رنه (١٣٧٦)، فلسفة

ديكارت، ترجمة: منوچهر صانعی درهبيدی، طهران، دار الهدى، الطبعة الاولى.

٧. رضايي اصفهاني، محمد علي (١٣٨٧)، تفسير القرآن مهر، دار «پژوهشهای تفسير و علوم قرآن»، ايران، قم، الطبعة الاولى.

٨. ساجدي ابوالفضل و مشكي مهدي (١٣٨٧)، دين در نگاهی نوين (الدين في نظرة جديدة)، مؤسسة الامام الخميني قدس سره، قم، الطبعة الاولى.

٩. سلحشوري احمد، يوسف زاده محمد رضا (١٣٩٠)، جايگاه عقل و عاطفه در تربيت اخلاقی (مكانة العقل و العاطفة في التربية الأخلاقية)، مجلة تربيت اسلامی، العدد ١٢.

١٠. شهرياري، حميد (١٣٨٥)، فلسفه اخلاق در تفكر غرب از ديدگاه السدير مك اينتاير (فلسفة الأخلاق في تفكر الغرب من وجهة نظر مك اينتاير)، سازمان مطالعه و تدوين كتب علوم انسانی دانشگاهها- سمت (منظمة البحوث و تدوين العلوم الإنسانية في الجامعات)، مركز تحقيق و توسعه علوم انساني (مركز التحقيق و التوسعة للعلوم الإنسانية)، طهران، الطبعة الاولى.

١١. شيرواني، علي (١٣٧٩)، اخلاق اسلامی و مبانی نظری آن (الأخلاق الاسلامية و مبانيها النظرية)، دار الفكر -قم، الطبعة الاولى.

١٢. صادقي هادي (١٣٨٦)، عقلانيت ايمان (عقلانية الايمان)، كتاب طه، قم، الطبعة الاولى.

١٣. صانعي درهبيدي، منوچهر (١٣٨٧)، مبانی انديشههای فلسفی (مباني الأفكار الفلسفية)، اميركبير، طهران، الطبعة الثانية.

١٤. ضاهر عادل، د. (١٩٩٠)، نقد الفلسفة الغربية -الاخلاق و العقل، دار الشروق، عمان، الطبعة الاولى.

١٥. طباطبايي، محمدحسين (١٣٩٠)، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان -

بيروت، الطبعة الثانية.
١٦. الطبرسي، الفضل بن الحسن (١٣٧٢)، مجمع البيان في تفسير القرآن، ناصر خسرو، طهران، الطبعة الثالثة.
١٧. الطريحي، فخر الدين بن محمد (١٣٧٥)، مجمع البحرين، مرتضوى، طهران، الطبعة الثالثة.
١٨. طه عبد الرحمن (٢٠٠٦)، سؤال الأخلاق -مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الثالثة.
١٩. عابدي شاهرودي، علي (١٣٩٥)، قانون اخلاق بر پايه نقد عقل به عقل (قانون الأخلاق على أساس نقد العقل بالعقل)، كتاب طه، قم، الطبعة الاولى.
٢٠. فرانكنا، وليام (١٣٩٢)، فلسفة الأخلاق، ترجمة: هادي صادقي، كتاب طه، قم، الطبعة الرابعة.
٢١. فروغي، محمد علي (١٣٧٥)، سير حكمت در اروبا (سير الحكمة في اوربا)، البرز، طهران، الطبعة الاولى.
٢٢. جنسلر، هري جي (١٣٨٥)، در آمدى جديد به فلسفه اخلاق (مدخل جديد إلى فلسفة الأخلاق)، المترجم: حميدة بحريني، آسمان خيال، طهران، الطبعة الثالثة.
٢٣. محمدي مسلم، فريد افشار عباس (١٣٩٤)، ترابط كمالجويى عقل و اخلاق با محوريت روايات كتاب غرر الحكم (ارتباط طلب الكمال بالعقل و الأخلاق بمحورية روايات كتاب غرر الحكم)، مجلة پژوهشنامه ثقلين، الدورة الثانية، العدد ٢.
٢٤. مصباح اليزدي، محمد تقى (١٣٨٧)، نقد و بررسى مكاتب اخلاقى (نقد و دراسة المدارس الأخلاقية)، تحقيق و تأليف: احمد حسين شريفي، مؤسسة الامام خميني قدس سره، قم، الطبعة الثانية.
٢٥. مطهري مرتضى (١٣٧٢)، مجموعة آثار الشهيد المطهري، قم، دار صدرا للنشر.

٢٦. معلمي حســـــن (١٣٩٤)، مباني اخـلاق در فلسفه غـرب و فلسفه اسلامى (مباني الأخـلاق في فلسفة الغرب و الفلسفـــــة الاسلامية)، منظمة الثقافة و الفكـر الاسلامي، طهران، الطبعة الثانية.

٢٧. معلمي حســـن، مباني و معيارهاى اخلاق (المباني و المعايير للأخلاق)، الحـوزة العلمية بقم، مركز مديريّة الحوزات العلمية للنساء، مركز نشر هاجر.

٢٨. مكارم شـيرازي، ناصر (١٣٧١)، تفسير نمونـه (التفسير الأمثل)، دار الكتب الإسلامية، ايران –طهران، الطبعة العاشرة.

٢٩. وارنوك ج. (١٣٦٨)، فلسفه اخلاق در قـرن حـاضر (فلسفة الأخـلاق في القرن الحـاضر)، ترجمة صادق ا. لاريجاني، مركز ترجمة و نشر كتاب، الطبعة الثانية.

٣٠. هالينك ديل، رجينالد جان (١٣٨٧)، تاريخ فلسفه غرب (تاريخ فلسفة الغرب)، ترجمة عبد الحسين آذرنك، ققنوس، طهران، الطبعة السابعة.

٣١. هولمـــــز، رابرت ال. (١٣٨٥)، مباني فلسفه اخلاق (مباني فلسفة الأخـــلاق)، ترجمة مسعود عليا، ققنوس، طهران، الطبعة الثالثة.

٣٢. هير، ريچارد مروين (١٣٩٣)، زبان اخلاق (لغة الأخـلاق)، ترجمة امير ديواني، كتاب طه، قم، الطبعة الثانية.